الرسكلة اللغوية أو إعادة اكتساب اللغة في الكلام الموجّه للأطفال

Linguistic Recycling or Language Re-Acquisition, Speech for Children

د. سليم مزهود*

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة (الجزائر).

salimsimez@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/02/04 تاريخ القبول: 2021/02/09 تاريخ النشر: 2021/02/12

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن طريقة اقتباس الأطفال الألفاظ من والديهم، ويبحث في رسكلة لغة الأطفال باعتبارها جانبا تعليميا للغة، وكيف يؤثر هذا الجانب في توجيه لسان الأطفال نحو الكلام السديد. إذ يتم فحص الكلمات التي حفظها الطفل حفيظا جيدا، وخزّنها على شكل مقاطع صوتية يمكن فهمها بقليل من التركيز. فالطفل ينتج أشكالا مماثلة للألفاظ التي يستعملها الكبار محاولةً منه في تقليدها.

يعتمد المقال على المنهج الوصفي في توضيح الأشكال اللغوية التي يتفاعل معها الطفل، والكشف عن اقتباسات الأطفال من والديهم في إنتاج الكلام، لاسيما في المستويات اللغوية الناتجة عن حوار الآباء مع الأطفال

الكلمات المفتاحية: اكتساب لغوي؛ اقتباس؛ إنتاج كلام، رسكلة لغوية.

Abstract:

This article aims to uncover the way children quoting words from their parents, and to study children's language rationalization as an educational aspect of language, and how this aspect affects children's tongue orientation towards good speech.The words memorized by the child are well, and stored in syllables that can be understood with little emphasis. The child produces shapes similar to the expressions adults use to try to imitate them.

The article relies on the descriptive approach in clarifying the linguistic forms that the child interacts with its, and revealing children's quotes from their parents in producing speech, especially on the linguistic levels resulting from the parents dialogue with the children.

Keywords: Linguistic Acquisition; Quotation; Speech Production; Linguistic Recycling.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

تتمثل طبيعة اكتساب اللغة المبكرة في الاقتباس، إذ يبدأ الأطفال بتكرير الكلمات، محاولين تكرير الجمل والتعبيرات التي يأخذونها من الكلام الموجه إليهم من الآباء خصوصا، أو من المحيط الاجتماعي الصغير حين لعبهم مع أقرانهم وسماع الكبار المارين بهم أو القريبين من محيط لعبهم.

ويمكن أن نسمّى هذه المرحلة المبكّرة من تعلم الكلمات، مرحلة ما قبل التشكيل اللفظي، لأنهم لم يصلوا بعد إلى مرحلة التشكيل اللفظي الواضح والتام، وتتميز هذه المرحلة باستخدام الكلمات المعزولة، في اللهجة الجزائرية من ولاية ميلة مثلا، يقول الطفل: (بابا غطي) ، (ماما نيني)، (أَمّو بالو)، والمعنى في التشكيلات الثلاثة غير المكتملة هو: أبي تحت الغطاء، أمي نائمة، عمّي أعطني الكرة أريد أن ألعب.

ثم يبدأ الطفل في مرحلة التشكيل بتصريف الكلمات وفق زمنها الماضي والمضارع والأمر، يقول: أعطاني أبي، سوف يعطيني، هيا نلعب...، وبمجرد أن يصل الطفل إلى مرحلة تصريف الأفعال، والتمييز بينها، فذلك يعني أنه قد بلغ مرحلة متقدّمة من التحكّم في التشكيل اللغوي.

يبدأ الوالدان في المرحلة الأولى بالانتباه إلى الكلمات التي يستعملها الطفل، ويقومان بتسجيلها، من أجل ملاحظة تطورها، والحذر من الكلمات الدخيلة سواء تلك الكلمات التي يخطئ الوالدان في تلفظها أو تلك التي يأخذها الطفل من محيط اجتماعي قريب، وإلا سوف تصير راسخة عند الطفل ضمن رصيده اللغوي الجديد. وقد يسبب هذا مشكلات أخلاقية من جهة، ومشكلات عصبية من جهة أخرى إذ إنّ بعض ألفاظ السب والشتم البذيء تصاحبها حالة نفسية غاضبة مما يسبب مشكلات نفسية وعصبية عند الطفل، قد تتأصل فيه، فيصعب على الوالدين تخليصه منها مستقبلا.

ومن ثمّ ينبغي التوفيق بين الجانب النفسي واللغوي العصبي في مراحل اكتساب اللغة عند الطفل، وفق عوامل التكرير والتشكيل اللفظي المتطورة تدريجيا إلى أن يمتلك الطفل الإدراك اللغوي والملاحظة للتوصل إلى المهارة اللغوية المطلوبة.

يقدم هذا المقال طريقة الرسكلة اللغوية خلال مراحل التطور اللغوي عند الطفل في اكتساب اللغة تدريجيا، ويوضح العوامل المؤثرة في نموه اللغوي وتأثره بلغة الكبار، وإعادة تدوير الكلمات المستعملة.

2. اكتساب اللغة عند الطفل:

تشير كثير من الدراسات في نظريات اكتساب اللغة إلى وجود عوامل تؤثر في مراحل اكتساب اللغة عند الطفل، من أهمها العوامل الحسية، وبخاصة حاسة السمع، وعوامل عضوية عصبية متعلقة بسلامة الجهاز العضوي للكلام وكذا الجهاز العصبي المركزي، وعوامل أخلاقية تربوية ونفسية عقلية تتكون من المحيطين الأسري والاجتماعي.

1.2ما قبل التشكيل اللغوي:

هي المرحلة التي لا يستطيع الطفل النطق فيها بصورة صحيحة وواضحة، فيرتكب العديد من الأخطاء، بسبب عدم اكتمال أجهزته النطقية، ونقص الرصيد اللغوي، ويسهم بعض الآباء في عدم تحسين التشكيل اللغوي في مرحلة ما قبل التشكيل، إذ يتعمدون عدم الوضوح في الكلام، والتلاعب اللفظي، وقلب الحروف، للعب مع أطفالهم، وبالرغم من فائدة هذا النوع من اللعب والمداعبة اللغوية مع الأطفال، إلا أن المبالغة فيه قد تؤخّرهم في مرحلة النطق، ولربما قد تكون عائقا كبيرا أمامهم في اكتساب اللغة.

ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى: مرحلة الصراخ، مرحلة المناغاة، مرحلة التقليد، ومرحلة الإيماءات.

1-1-2. الصراخ :

تمتد من مولد الطفل حتى الأسبوع الثالث أو الرابع، فالطفل يحدث أول أثر سمعي بعد الميلاد مباشرة، وهو الصرخة الأولى التي يحدثها، وتسمى صرخة الولادة، وهي لا إرادية تحدث بسبب اندفاع الهواء إلى الرئتين عبر الحنجرة مما يسبب ألما واهتزازا في الحبال الصوتية، ثُمَّ تحدث عملية التنفس التي ينتج عنها تزويد الدم بكمية من الأكسجين حتى أن الطفل لما يولد دون صراخ، فإن المحيطين يحاولون إزعاجه حتى يصرخ (حساني، 2000، صفحة 106) .

إذ ترتبط في البداية الوظيفة الرئيسة لصراخ الطفل بالحاجات البيولوجية الملحّة، أي بوظائف التغذية (الطعام والشراب، والألم والغضب، والتبول والقيء وما إلى ذلك، ويعتبر الصوت في هذه الحالة معبرا عن حالات جسمية ووجدانية، تتمثل في رغبات الطفل البيولوجية والنفسية، وقد فسّر هذه الحالات جميعها عالِمُ التحليل النفسي النمساوي أوتورانك (Otto Rank : 1984-1939م) بفضل منعكس فسّره بصدمة الميلاد التي تعترض حياة الطفل بعد انفصاله عن بطن أمه؛ إذ يتم عن طريق الصراخ الاتصال بين الطفل ومحيطه الاجتماعي والأسري وبخاصة الأم، كما يسهم الصراخ في عملية هامة جدا هي تعلم الطفل أثناء الصراخ طريقة التنفس بحسب درجة القوة والاستطاعة،

للتعبير عن حال معينة بدقة، كالجوع مثلا أو الحاجة إلى النوم، أو الإحساس بألم داخلي، وما إلى ذلك، كما يسهم هذا الصراخ في تكوين التناسق الحسي الحركي الذي يسبق اللغة؛ فالطفل يلاحظ أنه عن طريق الصراخ تُلَبَّى له الكثير من الحاجات الفيزيولوجية والنفسية كجلب الأم لأن تحمله أو ترضعه (الزراد، 1990، صفحة 42).

وهذه المرحلة –الصراخ– لها الكثير من الدلالات والتفسيرات، بحسب ما ذهب إليه العلماء الدارسون والباحثون المتخصصون، ومن بين تلك الدلالاتِ الحالاتُ النفسية كالقلق والألم والجوع.

إن الطفل يستخدم الصراخ لتلبية الكثير من الحاجات، ويبقى الصراخ حتى الشهر الثاني من عمره مصاحبا لعملية السعال والبكاء، والصراخ أصوات تلقائية يصدرها الطفل، وليس تقليدا للغة الآخرين، ويبدأ الطفل في تعلم استعمال هذه الأصوات كاستجابة للصوت البشري مثلا، وبالتالي تقتضي الضرورةُ وجود الأبوين مع الطفل، والأفضل أن يلتحق بهذا التواجد الإخوة وغيرهم من المحيط الأسري والاجتماعي الصغير حتى تتطور الأصوات عند الطفل باعتبارها -في البداية- أصواتا لا إرادية يصدرها الطفل من تلقاء نفسه. نلاحظ أن صراخ الطفل في الفترة الممتدة من أربعة إلى خمسة أشهر (4-5) الأولى يعبر عن انفعالاته، بالإضافة إلى قيام الطفل ببعض الحركات الجسمية، مثل: مد الذراعين، أو قذف الأشياء . وتشير بعض الدراسات إلى أنّ أولى صرخات الطفل تكون من النوع الضعيف والقصير، بمعدل أربعين إلى خمسين (40-50) صرخةً في الدقيقة الواحدة، عندما يصبح الشهيق في الصراخ قصيرا وتزداد فترة الزفير، وهناك دراسات أخرى ترى أن نسبة تقدر بحوالي (35%) من صراخ الأطفال تكون بسبب دافع الجوع الذي يؤثر إلى حد ما على حياته، وهي أطول أشكال الصرخات (الزراد، 1990، صفحة 44).

2-1-2. المناغاة:

يصدر الطفل في البداية صرخات ثم يتطور جهازه النطقي حتى يصدر أصوات عشوائية غير مفهومة في الشهور الأولى وتسمى هذه المرحلة بمرحلة المناغاة حتى أن البعض يطلق عليها اسم "الثرثرة"، واستعماله لها هو بمثابة لهو ولعب بالنسبة إليه.

ولكن الدراسات تؤكد أن هذه المرحلة تساعده على تدريب جهازه الصوتي ... والمناغاة تشكل مرحلة من مراحل اكتساب اللغة، حيث تظهر في صورة تكرار صوتي يبدأ بمقطع واحد ثم مقطعين ثم أكثر من ذلك. إذ يمكن الحكم على ظهور لغة الطفل بأنها تبدأ من الشهر الثالث أو الرابع من عمره حيث يبدأ تحكمه في ممر الهواء، وتوجيه صدى الوترين الصوتيين، ثم تظهر المناغاة ابتداء من الشهر

السادس بشكل جيد، وتصل إلى القمة في الشهر الثامن، ثم تبدأ في التقهقر بالتدريج، إلى أنْ تنعدم في مرحلة الكلام في الشهر الخامس عشر (حساني، 2000، صفحة 107).

يشعر الطفل باللذة والمتعة عند إصداره الأصوات المتنوعة، وهذه الأصوات التي يصدرها إنما تدعم بفضل الأفراد المحيطين به، مما يشجع الطفل على معرفة جميع أنواع أصواته التي يحدثها، فعندما يكون جائعا يقوم بحركات تشبه حركات المص في الفراغ ويفعل ذلك إراديا في حالة غياب ثدي أمه، وهي حركة مسبقة يقوم بها الطفل لأجل الحصول على الرضاعة، وأثناء الرضاعة نجده يتلفظ بعبارات على نحو الأصوات الآتية: (موم موم موم ...) وهي ألفاظ تعبر عن حاجة لدى الطفل (زكريا، 1983، صفحة 124).

ويزداد ميل الطفل إلى إحداث الأصوات واللعب بها في الشهر الرابع، كما يزداد أيضا التوافق بين الصوت وحاسة السمع، وتعتبر أحرف العلة من الأحرف المتحركة، لهذا يكثر من استعمالها، وهي (أ، و، ي)، لكن حرف اللام يتأخر عن باقي الأحرف، لأنه يحتاج إلى عملية قلب اللسان إلى الأعلى، فهذا الحرف لا يوجد في مناغاة الطفل، وهناك من يعتبر الحرف مرتبطا بالرضاعة نحو صوت المناغاة: (لا، لا ... وما شابه ذلك)، ولكي يكتمل النطق بهذا الحرف لا بدّ من سنتين أو أكثر. وفي بداية النصف الثاني لعامه الأول من مرحلة المناغاة يبدأ ظهور الأسنان لدى الطفل، مما يساعد على ظهور الأحرف السنية والشفوية (ب ، ت، د، ذ، س، ش...) ويبين حروف المناغاة الأولى هي (با، با) إذ تعد أصواتا لينة مفتوحة توصف غالبا باسم "الهديل"، لأنها تشبه هديل الحمام . وينغمس الأطفال في الشهر السادس في العديد من الأصوات التي تتضمن الحروف الساكنة، وتستمر المرحلة حتى الشهر الثامن، مما يجعل مناغاة الطفل تزيد بحرف آخر، أو حرفين مثل: (دا ، دا، با، ما، ما). وعند الحديث عن الطفل الأصم الأبكم نجد أن مناغاته وراثية، ويكمن السبب في عدم تكون الصورة السمعية، ولذلك تتلاشى مناغاته بسرعة، لأنها كامنة، فهو إذن لا يتمتع بما يصدره أو يسمعه من الأصوات، فيفقد اهتمامه بهذه الأصوات بشكل نهائي. إن اكتسابَ الطفلِ قواعدَ اللغة راجع الى الدور الذي يؤديه المحيطون به، لأن اللغة تتطور عنده بمساعدة من الآخرين، ولكن لا يقتصر في مخاطبته على أمه فقط، لأن ذلك يجعله يتأخر لغويا، وفي نهاية فترة المناغاة نجد لدى الطفل ضرورة ملحة للاستجابة بسهولة إلى أصوات المحيطين به، عند ذلك يستطيع الطفل التعبير عما بداخله إما بالفرح أو الغضب... وإصغاء الطفل للمثيرات الصوتية، وهي الألفاظ التي يخرجها فتؤثر على سمعه ومن ثَمَّ تدفعه إلى أن يكرر الصوت نفسه (الزراد، 1990، الصفحات 48-49).

ويعتبر الصراخ مجرد فعل منعكس لا إرادي، بينما تقوم المناغاة على التلفظ الإرادي لبعض المقاطع الصوتية، ويتخذها غاية في حد ذاتها، فهي لا تعبر عن شيء أو تهدف إلى شيء ظاهر، وإنما يكررها لأجل اللهو بترددها.

إذ نجد الطفل يجرب مختلف الأصوات بصورة عشوائية عن طريق ذاك الترداد، وهو لا يختار منها أصواتا دون أخرى وكأنه يجد في ذلك لذة ومتعة، وغايته في ذلك هو تدريب جهازه الصوتي على النطق وتعويده على التلفظ إلى أنْ يتمكن ذاك الجهاز من أداء مهمته على الوجه الصحيح .

ويمكن تلخيص أهم الفروق بين مرحلة الصراخ ومرحلة المناغاة فيما يلي:

1. تخلو ظاهرة الصراخ من التنغيم، ولا تخضع إلى إيقاع معين، في حين أن المناغاة منسجمة متناغمة في أنغام متواترة تناسب الحالة الوجدانية عند الطفل.
2. الأثر السمعي في مرحلة الصراخ غير مقطعي، يشبه الأصوات عند الحيوانات، بينما الأصوات في مرحلة المناغاة مقطعية تكون المادة الأولية لتشكيل الأصوات اللغوية
3. يحقق الصراخ غرضا بيولوجيا، أما المناغاة فإنها تخدم حاجات عاجلة أو آجلة تتعلق بالحالات الوجدانية للطفل، فهي تمثل أول خطوة نحو التحضر.
4. يرتبط الصراخ بالتوتر والانزعاج الناتجين عن ضرورة بيولوجية، في حين ترتبط المناغاة بالسرور والغبطة عن ضرورة وجدانية .
5. الصراخ غير إرادي، والمناغاة إرادية أثناء حدوثها يتحكم الطفل في جهازه النطقي فيمتلك القدرة على توجيهه واستثمار الأصوات الناتجة لتسلية نفسه عن طريق الاستلذاذ بسماعها.
6. مرحلة الصراخ محدودة النطاق وتسجل بسرعة وسهولة، بينما تسجيل المناغاة صعبٌ إلى حدّ متوسط.

نخلص مما سبق أن المناغاة مجموعة من الأصوات يقوم الطفل بإصدارها تعبر عن الرضا والارتياح والشعور بالدفء، والشبع وغير ذلك، وتعد أصعب مرحلة يمر بها وبواسطتها يتم تكوين الحوار بين الطفل والأبوين (يصغي الطفل للأم مثلا ويحاول إعادة ما تقوله).

2-1-3. التقليد:

تبدأ هذه المرحلة من الشهر الخامس من حياة الطفل وتستمر حتى الشهر العاشر وهي عملية تلقائية يقوم بها الطفل لتقليد أصوات الذين يعيشون من حوله، فيصبح الطفل يحب تكرار تلك الأصوات التي يتلقاها من الآخرين ودون قصد منه، فهو يشعر بالسرور عند تلفظه بمقطع صوتي مثلا: (دا)، يكون بمثابة تعزيز، وتدعيم يدفعه إلى تكرار الصوت فيرتبط السرور بهذا الصوت، الأمر الذي

يجعل حالته الشعورية تقترن ببعض الأشكال الصوتية المسببة لتلك الحالات. وهذه الحالات الشعورية تجعل الطفل عند سماعه للغته يحس بلذة النجاح في نفسه ويكسبه الشعور بالقدرة والقوة نتيجة تكراره لتلك المقطع الصوتي (دا، دا، دا)، وهذا الأخير صادر عن الطفل تكرره الأم مرات عدة أثناء كلامها وأحيانا يرتبط هذا المقطع المكرر بكلمة توجد في الواقع الحسي فيتعرف الطفل عليه حسيا، عندئذ يدرك العلاقة ما بين (دا دا)، والمرجع الذي تدل عليه (الجدة في لغة الطفل الجزائري)، ويدخل في اكتساب اللغة عامل جديد هو عامل الإدراك البصري للمرجع الذي تدل عليه الكلمة من حيث هي علامة دالة، وبالطريقة نفسها يكتسب الطفل جميع العلامات التي تكون نظامه اللساني (حساني، 2000، صفحة 110).

يبدأ الطفل بالمقارنة بين الأصوات التي يصدرها بنفسه والأصوات التي يسمعها من المقربين إليه (الأم أو المربية)، فيكتشف علاقة المشابهة بين هذه الأصوات، ويكون سعيدا للاستكشاف الذي يعد تعزيزا آخر لقدرته التلفظية، فيسعى إلى الربط بين أصواته وأصوات المحيطين به، وبهذا العمل يكون قد انتقل من مرحلة التقليد الذاتي (سماع أصواته) إلى مرحلة التقليد الموضوعي (سماع أصوات الآخرين) . كما أن عملية التقليد تتحول من عملية تلقائية لا إرادية إلى إرادية في نهاية العام الأول ويصاحبها عنصر الفهم بعد أن كانت في السابق غير واضحة الفهم.

إن ما يحاول الطفل عمله ليس التقليد الحرفي لألفاظ الأم أو الآخرين، وإنما يسعى للوصول إلى طريقة المماثلة (المشابهة)، وتقليده لألفاظ الآخرين يسهم في عملية المعززات (عوامل التشجيع، والمكافآت، والعقوبات...) التي يتلقاها الطفل، إذ تساعد هذه المعززات بدورها في إشباع الطفل لحاجاته أو صده عن إشباعها .

إنَّ للأسرة دورا هاما في تشجيع الطفل بحيث يزداد ميله إلى تقليد بعض الألفاظ وتعلمه للغة يتوقف على تقليده للأصوات التي يحدثها ويريد سماعها لنفسه وأيضا عند سماعه الآخرين، لأجل تحقيق شكل من الاتصال معهم، كما أنه يريد أن يرى قدرته التي يتمتع بها لاستخدام هذا التواصل.

ويعتبر تكرار الأم لتلك الأصوات الدافع الأول الذي يهيئ الطفل للتلفظ، وأثناء الانتقال من المناغاة إلى التقليد يكون انتقالا فجائيا، لأن الأطوار اللغوية متداخلة ولا تستطيع أن تحدد زمنا معينا لكل منها، ففي السنة الأولى من عمر الطفل يبدأ بتقليد أية لفظة يسمعها من الكبار، وفي السنة الثانية يظل يردد الكلمات التي يسمعها من الكبار وكأنه يريد ترسيخها في ذهنه، ويقر "علماء النفس" بأن الأطفال يميلون إلى الاستجابة لصوتهم الذي يشبه إلى حد ما الصدى، أي إن الطفل يتلفظ بشيء فيسمع صوته عندها يصبح ذلك الصوت كأنه حافز يحدث الاستجابة التي تكون بترداد الصوت المتلفظ به ويبقى الطفل حبيس صوته إلى أن يحدث في محيطه ما يخرجه من هذه الحلقة الصوتية

التي أطلق عليها العلماء النفسانيون: "الاستجابة الدائرية". ونعني بالاستجابة الدائرية: سماع الطفل صوتَه، ولكن النتيجة نفسها تحصل إذا سمع صوتا غير صوته، فمثلا: إذا نطق أبوه أو أمه بكلمة أمامه، فإن تلك الكلمة تحدث لديه استجابة دائرية، إذ حين يقوم الطفل بتقليد صوت ما، فإنه لا يستطيع أن يقلده بالصوت الأصلي، وإنما يقلده بصوت يكون قريبا من ذلك، أي بكلمة يبذل فيها جهدا في حفظها وترسيخها. يمكن القول إنّ تعلم الأصوات اللغوية يبدأ حين تتكون لدى الطفل هذه المنعكسات الدائرية لأنه لوحظ في هذه الفترة يمكنه تعلم أسماء وما على المعلم إلا أن ينتقل إلى الخطورة الموالية المتمثلة في اقتران الشيء بالذات، والخطوة التي بعدها تحصل حين يصبح الشيء بالذات بمثابة الحافز الذي يحفز الطفل بمجرد رؤيته الشيءَ فيدفعه مباشرة إلى النطق باسمه. فميزة هذه الاستجابة أنها باقية حتى بلوغ الأطفال سنتين ونصف السنة، فيصبح الطفل مرددا كلمة ما، ويقصد بها جملة بتمامها ناقصة في التركيب وفي المعنى، وما على الشخص الكبير إلا القيام بإكمالها، مثل: تلفظه بكلمة (حليب) وهو يقصد (ماما أعطيني الحليب)، بحيث تفهم الأم ما قصده من تلك الكلمة، لأنه في هذا العمر لا يستطيع تركيب جملة، إذ تكون لغة الأطفال مختصرة، ولكن الاختصار لا ينجح إلا من خلال التكرار لأجل قضاء الحاجة، وسرعان ما تختفي هذه الاستجابة الدائرية ويستبدلها بتراكيب لغوية يقتبسها من الكبار (ابن عيسى، د.ت، صفحة 137).

يستطيع الطفل الطبيعي أن يتكلم أية لغة يسمعها من المقربين إليه، حين يسمعهم فيستجيب إلى كلامهم، المقترن بالطعام والشراب والعطف وغير ذلك، باعتبار التقليد معززا إيجابيا فهو ينمي لدى الطفل بعض الانطباعات السارة التي يمكن تفسيرها عن طريق التغذية الراجعة أي إنه يقدم معلومة، ويحاول أن يضيف إليها شيئا ويقوم بتبسيطها لكنها لا تبسط، ويقلد أصوات الآخرين من خلال عملية التعميم، فإذا استطاع الطفل تكرار كلمة (بابا) تقليدا لنفسه، فإن الاستجابة تحدث إذا سمع هذه الكلمة من الآخرين.

2-1-4. الإيماءات:

تبدأ هذه المرحلة في نهاية العام الأول قبل أو مع ظهور الكلمة الأولى، حيث يستعمل الأطفال الإيماءات والإشارات، مثل: إشارة العيون، والوجه واليدين، والجسم باعتبارها وسائلَ للاتصال مع الآخرين (حولة، 2008، صفحة 23).

إن هذه الإيماءات سرعان ما تختفي عند منتصف العام الثاني، مع زيادة التغيير اللفظي، والعلاقة بين ذكاء الطفل واستخدامه الإيماءات غالبا ما تكون سالبة لأنه كلما زاد ذكاء الطفل قل اعتماده على الإيماءات نظرا لزيادة استخدامه اللغة اللفظية الحقيقية والعكس صحيح (وافي، د.ت، صفحة 201).

يقوم الطفل باستعمال اللسان لمخاطبة أمه بصفة خاصة، لأنه يتعرف على الكلمات التي تنتجها الأم بالتكرار، حسب ما نلاحظه على الطفل عند غياب أمه، إذ يقوم بترديد الأصوات التي يرسلها إليها ويسترجع العلاماتِ الخاصةَ بأمه التي اعتادها بوجودها معه.

إن الإيماءات التي يحدثها الطفل قبل بلوغه سن العام تتمثل في السلوكات الدلالية الآتية:

1. دوران الرأس الذي يعبر أساسا عن عدم الرغبة بشكل منظم، ثم يصبح معبرا بصفة رسمية عن الرفض .
2. تمديد الذراعين، إذ يعبر الطفل بهذه الحركة عن كونه يريد أن يُحمل .
3. أثناء تغيير الملابس يقوم بحركة عنيفة تعبر عن رفضه العملية .
4. متابعته الأشياءَ التي يسقطها والنظر إليها بعد السقوط، والبحث عنها، ومحاولة الوصول إلى تلك الأشياء قبل السؤال عنها بفترة طويلة. إن اختصار النشاط الحركي الذي تشارك فيه كافة أجزاء الجسم ناتج عن استخدام الطفل الإيماءاتِ، الذي يحاول عن طريقه التعبيرَ عن حاجاته ورغباته، فيطلق عليها بعض العلماء "لغة الجسم" (أنسي، 2005، صفحة 129).

إن الأطوار التي يمر بها الطفل تكسبه أولى السلوكيات الاجتماعية، كما يكتسب أنه في حضن أمه أولى خبراتِه الصوتيةَ من خلال البكاء، والصراخ والمناغاة فيتطور على المستوى الانفعالي والعقلي واللغوي، بمساعدة واعتناء الأم والمقربين إليه.

وإذا كان لا يمتلك سوى الإشارات والإيماءات والضحك فإن كل ذلك غير كاف لفهم ما يريده، إذ لابدّ من مرحلة أخرى تساعده على التواصل مع أسرته ومجتمعه، هي المرحلة اللغوية.

2-1-5. اللغة المقطعية:

تهيئ الطفلَ المراحلُ قبل اللغوية السابقة (الصراخ والمناغاة، وتقليد الأصوات والإيماءات) من أجل الدخول في المرحلة اللغوية، وتنمي لديه الاستعدادات، إذ إنَّ الطفل لا يصل إلى استعمال اللغة مرة واحدة، بل يمر بمراحل عديدة (الزراد، 1990، صفحة 55).

لقد أثبت علميا أن المرحلة اللغوية تظهر في نهاية السنة الأولى، وبداية السنة الثانية وتتميز هذه السنة بأنْ ينطق الطفل كلمات متكونة من مقاطع، وغالبا ما تكون أصواتا ساكنة تتحد مع أصوات متحركة مثل: (بابا، ماما، طاطا)، وبعد نطقه لهذه المقاطع يتجه مباشرة إلى النطق ببعض الكلمات البسيطة مثل: (باب، حليب،...)، وينطق بعض الأسماء أو الأشخاص أو الأشياء التي يراها من حوله، و يكرر ما يسمعه من الآخرين إما بطريقة صحيحة أو خاطئة. وبعد ذلك كله يصبح الطفل قادرا على نطق بعض الكلمات لأسماء غير موجودة وأشخاص غائبين من حوله، ووضعيات غير

حاضرة، فيظهر تدرج جديد، يستطيع الطفل من خلاله تجاوز المجال الحسي الملموس، فيتمثل الغائب في الحاضر (حولة، 2008، صفحة 22) .

2-1-6. التلفظ بالكلمات:

لا يستطيع الطفل التلفظ بمجموعة من الألفاظ التي جمعها قبل نهاية عامه الأول لكنه في بداية السنة الثانية يجيب عن كلمات الآخرين، وتعليماتهم، أو أوامرهم، ولا يعبر عن ذلك كله بكلمات أو ألفاظ، بل بحركات إيمائية، وإشارات في العيون، والوجه واليدين والجسم ... إذ إنَّ استجابات الطفل غالبا ما تكون صادقة بالرغم من أنه لا يستطيع التكلم بها بعد.

إنّ من بين الكلمات التي يستخدمها الطفل بشكل مبكر، كلمة (لا)، يعبر بها عن رفضه الأكل أو اللباس، فهي فعل عاطفي أكثر من كونها فعلا للمنع، وعندما يكون في حالة ارتياح يستخدم كلمة "آه" أي موافق، وفي لغة الكبار "نعم" التي يصدرها عندما يحقق هدفه وتكون في الغالب إجابة عن السؤال، لأن هذه الكلمة تتركز على عامل الفهم والتمييز.

ويمكننا إضافة كلمات "هذا " و"هذه" المرفقة بإشارة اليد، إذ تعبر هذه الكلمات على شعور الطفل بالعالم الخارجي واتصاله به، وبتغيراته الخارجية.

ففي بداية السنة الثانية تظهر لدى الطفل الكلمات الطبيعية التي تسجل بعض الألعاب الحركية المفضلة، فعند سماعه صوت السيارة يريد أن يقلدها، فيقول: (درن درن...)، إذ تمثل هذه الحركات والأصوات التي يلعب بها البدايةَ التي يتم بواسطتها تشكيل اللغة، وتسمح هذه الحركات الطبيعية للطفل بأخذ دور فعال في ممارسة اللعب ويتوجب عليه التحكم في حركات الكلمات أثناء نطقه بها (حولة، 2008، صفحة 55).

وسواء أكان الطفل قد بدأ يتكلم بصورة حقيقية أم لا، فلا بدّ من توفر معيارين اثنين هما:

- المعيار الأول: أن تكون لغته (الكلمة الأولى) مفهومة لدى الجميع، وليس لأم الطفل فقط أو المقربين منه.

- المعيار الثاني: أن تكون اللغة مفهومة له أيضا، ويعرف الأشياء التي تدل عليها ألفاظه.

ونلاحظ على الطفل في بداية المرحلة اللغوية العديدَ من الأخطاء الساذجة غير المقصودة، ومن ثَمَّ نجده يخلط بين الكلمات، مثل: (أكثر، طويل، قصير...)، ويستجيب أيضا للتشابه والاختلاف، ويكتسب معنى الكلمات بواسطة عمليات تدريجية في التمييز (شقير، 2002، صفحة 183)

ومن الكلمات التي ينطقها في البداية: الأسماء المتعلقة بالأشياء، وكذلك الأفراد وخاصة المحيطين (باب، ماما)، وأسماء الإخوة والأسماء العيانية الحسية ثم ننتقل إلى الأسماء المجردة (لأنها ترى بالعين المجردة)، ويكتسب بعض الأسماء الأفعال التي تكون مربوطة بالحركات التي يقوم بها.

أما الصفات فقد تتأخر نسبيا، مثل: (شجاع، كريم، جبان...)، أي إن قدرته على التجريد تبدأ في التميز شيئا فشيئا، وقد أطلق علماء اللغة على هذه المرحلة من النمو اللغوي "مرحلة التسمية"؛ لأن الطفل يكثر من استخدام الأسماء.

وفي منتصف السنة الثانية من عمرها تظهر الوظيفة الرمزية أو السيميائية، إذ يصبح الطفل بإمكانه أن يجمع بين الدال والمدلول، ثم بعد ذلك تظهر مرحلة النمو والتركيب فيميز عندئذ بين (الأنا والأنت)، وبين (الماضي والحاضر)، ويكون بعدها جملا من عدة كلمات مستخدما أدوات الربط، إلى أنْ يتمكن الطفل في بداية السنة الرابعة من عمره من اكتساب اللغة الشفهية بصفة منظمة في شكلها العام.

إن الطفل يبدأ في استخدام الضمائر لأول مرة في أواخر السنة الثانية من عمره، وخاصة الضمائر الشخصية مثل: (أنا، أنت، أنت ...)، ويتعامل مع الحروف ببطء شديد كأحرف العطف والجر للربط بين الكلمات (الزراد، 1990، صفحة 62).

ولقد أكد علماء النمو والطفولة أمثال أنه يمكن تعليم الطفل اللغة الحقيقية منذ البداية وإلا صعب عليه تعلمها فيما بعد، وذلك ليس بعسير في نظر العائلة، ولكنه على عكس ما يرونه تماما.

وللطفل رغبتان متضادتان فهو من ناحية يريد تقمص الكبار، ومن ناحية أخرى يفضل عالم الطفولة ويحنّ إليه، إذ يشعر من خلاله بالارتياح.

يميل الطفل في بداية المرحلة اللغوية إلى الكلمات المنطوقة ويرتاح إليها، ثم يلتفت إلى مصدر الصوت، وبعدها يقوم بعملية الربط بين أسماء معينة منظورة، أو إشارات معينة وبين سماعه الصوت، كربطه بين فتح الباب (صرير الباب) وبين عملية دخول الشخص، وربطه أيضا بين كيفيات حسية مختلفة، كتذوقه مثلا: طعما مرّاً، فيسمع من والدته كلمة (لا)، أو (كخ)، وبالتدريج إلى أنْ يصل الطفل إلى عملية الفهم أو التمييز عندها يستطيع أن يميز بين العصفور والدجاجة، فهو قبل ذلك يطلق كلمة "عصفور" على كل طائر.

إن مرحلة التمييز تأتي بعد مرحلة التعميم، إذ يطلق الطفل كلمة (عصفور) على كل طائر، وكلمة (باب) على كل رجل، وتستغرق عملية الفهم والتمييز ثلاثة أشهر قبل أن يبدأ باستعمال الكلام استعمالا ذا دلالة.

2-1-7. إنشاء الجملة :

يبدأ الطفل في اكتساب كلمات بسيطة وينطلق منها إلى تكوين الجمل، فالكلمات الجميلة هي كلمات مفردة يقصد بها جملا فالطفل عندما يقول (ماما) يقصد بها: (أين هي ماما) أو (هل هذه ماما) أو (يا ماما)، أو (أريد طعام يا ماما) ... إلى غير ذلك من الجمل التي يعبر فيها بصيغة اسم، إذ يستخدم أثناء حديثه كلمة واحدة ويقصد بها جملة، إذن فوحدة الكلام عنده ليست الكلمة وإنما المراد من ذلك الجملة .

إن إدراك الطفل أقسامَ الكلام هو إدراك كلي يكون على مستوى الجملة لا على مستوى الكلمات (المفردات)، وفي عمر السنتين يبدأ الطفل في تكوين جمل بسيطة مكونة من كلمتين، ولا يبدأ بتركيب جمل مركبة إلا بعد أن يكتسب مجموعة من المفردات في عمر ما، والحصيلة اللغوية تتراوح من (100 إلى 200) مفردة.

ويقوم الأطفال في هذه المرحلة بحذف الكلمات الصغيرة منها:(ال) التعريف، (على)،(في) أي إنهم يقومون بحذف الكلمات الوظيفية في التركيب، ويحتفظون بالكلمات التي لها معنى فقط، التي عادة ما تنعت بكلمات المضمون.

من مراحل تكوين الجملة لدى الطفل قبل ذهابه للمدرسة الابتدائية هي :

أ-مرحلة الجملة الكلمة : هي التي أشرنا إليها في السابق، حيث تتحدد هذه المرحلة من نهاية السنة الأولى من عمر الطفل إلى بداية السنة الثانية تقريبا، وهي مرحلة يستعمل فيها الكلمات استعمال الجمل كأن يقول الطفل: (باب)، وهو يقصد (شيء وراء الباب) .

ب- **الجملة الناقصة:** هي التي يتراوح عمر الطفل فيها بين السنة الثانية والثالثة، ويستخدم الطفل في هذه الجملة كلمتين أو أكثر، ولكن دون أن يتم تكوين الجملة التامة (ناقصة في التركيب وفي المعنى) وما على الراشد إلا القيام بإكمالها من عنده، مثل قول الطفل: (أبي كرة) فهو يقصد بذلك: (أبي اشترِ لي كرة)

ج- **الجملة التامة :** تتحدد هذه المرحلة في بداية السنة الرابعة تقريبا ، و قد لوحظ أن عدد الجمل البسيطة يتناقص بدءا من السنة الثالثة، و يحل محلها -تدريجيا-الجمل المركبة. وتختلف قدرات الأطفال اللغوية من طفل لآخر عند دخولهم الى المدرسة و السبب في ذلك يعود إلى وجود فوارق، وهذه الفوارق تتمثل في الذكاء و البيئة المنزلية.

3- العوامل المؤثرة في النمو اللغوي:

1- سلامة أعضاء النطق والكلام والجهاز العصبي والحواس لدى الطفل .

2- العلاقة بين الطفل وأمه، ودور الرعاية والتشجيع والحنان أو الحرمان العاطفي في نمو اللغة.

3- عامل التشجيع الاجتماعي وسهولة تعامل الطفل مع الأشياء المحيطة وثقافة الأسرة ... واحتكاك الطفل بعالم الراشدين، وتمثله بهم، وقد أثبت علميا أن الطفل الوحيد لأهله ينمو لغويا بشكل أفضل بسبب احتكاكه بعالم الراشدين، كما أن الأطفال من الطبقات المثقفة يكونون أكثر ثراء لغويا من أطفال الأسر الفقيرة بثقافتها، وكذلك أطفال دور الملاجئ هم أقل نموا لغويا من الأطفال الذين يعيشون مع أسرهم.

4- تسهم وسائل الإعلام والإذاعة والتلفزيون في نمو اللغة، وكذلك دور القصص والحكايات التي يسمعها الطفل.

5- عامل الجنس؛ حيث إن الإناث يتفوقن على الذكور في سرعة نمو اللغة، وفي عدد المفردات اللغوية المكتسبة، وفي إتقان اللغة ...

6- عوامل أخرى متعددة صحية ونفسية ووجدانية وأسرية، واجتماعية وثقافية... مثل: ازدواجية اللغة وغير ذلك.

هناك آراء عديدة حول تحديد الفترة الزمنية للمرحلة اللغوية، فعلماء اللغة يؤكدون أن الطفل العادي يصل إلى المرحلة اللغوية في عمر السنة فما بعد، بينما تبدأ عند الأطفال الممتازين في قدراتهم بعد عمر تسعة أشهر من الميلاد، وبينت معظم آراء العلماء أنّ الطفل الذكي ينطق بشكل صحيح وواضح في الشهر الحادي عشر.

إن الكلمة الأولى تبدأ في عمر السنة، وقيل إنها تبدأ في عمر الشهر العاشر، أو الشهر الثامن، وغالبا ما تكون الكلمة الأولى ذات مقطع صوتي واحد ومضاعف، مثل: (ماما، دادا، كوكو، بابا...)، إذ تقوم هذه الكلمات المفردة مقام الجملة وكثيرا ما نجد الجمل عند الطفل الذي يعبر عنها بكلمة واحدة، فإذا قال الطفل مثلا: (بابا) فهو يعني بها: (إنني أريد اللعب)، ويقصد بكلمة (ماما)؛ (أريد الطعام) أو أي شيء آخر، وسمّيت هذه الظاهرة: الكلمة الجملة.

ومن أهم التصنيفات السلوكية للغة الطفل ما يأتي:

- اللغة المتمركزة على الذات، وتتصف بالتكرار، والحديث مع النفس، إذ إنّ هناك فرقا واضحا بين لغة الطفل ولغة الراشد، فالطفل يسعى إلى جلب كل شيء إلى ذاته أو إلى أناه الشعورية، أما الراشد فيختار ما يناسب المقام.

- اللغة الاجتماعية المتمركزة على التبادل الكلامي بين الطفل وشخص آخر، مع محاولة إثبات الذات، ووجود أوامر أو تهديدات، أو ردود على أسئلة.

- إن اللغة عند الطفل تتطور في مرحلة ما بين الثلاث والأربع سنوات بحسب نموذج لغة الكبار، حيث يدرك الطفل لغة الصغار ويبدأ بتنسيق الكلام، بمساندة النمو العقلي وتطور التمثيل العقلي والتخيلي، والقدرة على الإبداع في إنتاج الكلمات، والحكايات لديه.

- إن (تكوين الأنا) يسهم في نمو هذه المرحلة، إذ تساعد (الأنا) الطفلَ على التعرف على ذاته، باستبدال كلمة (هو) بكلمة (أنا)، وهي مرحلة في نظر الطفل بمثابة أول اعتراف له بنفسه، وتسمى: (مرحلة تصميم الذات)، واستعمال الطفل (أنا) لا يعني أنه قد اكتسب الشعور الحقيقي لذاته، إذ إن تكوين الذات لدى الأطفال الكبار مشروط باستخدام الضمائر أثناء حديثه: (أنا، هو) (الزراد، 1990، صفحة 64).

4. خاتمة:

إن اقتباس الكلمات هو سمة أساسية لاكتساب اللغة عند الطفل، ويتم إعادة رسكلة الكلمات وتصفيتها من خلال القوالب اللغوية والنماذج المستعملة في الكلام الموجه إلى الطفل، فيكون في البداية الاقتباس بسيطا، لكن ينبغي الحذر من استعمال كلمات غير أخلاقية أو مرتبطة بإثارة سيئة للعصب الدماغي، لأنها قد تسبب مشكلات جسدية ونفسية وأخلاقية واجتماعية في المستقبل، وقد يصعب التخلص من أي كلمة دخيلة على نموذج الاكتساب اللغوي السليم. ولذلك ينبغي متابعة الأمر من قِبَل الوالدين، وممارسة التعليم الصحيح.

ومن هنا نقدم مجموعة من الاقتراحات:

- ضرورة عدم المبالغة في المداعبة اللغوية مع الأطفال بالرغم من كونها ممتعة بالنسبة إليهم، لكن هذه المبالغة قد تؤثر سلبا على الاكتساب اللغوي، وقد تصعّب على الطفل ممارسة اللغة أو النطق بها.

- متابعة التطور اللغوي للطفل، والانتباه للمحيط الاجتماعي المرافق أو المجاور، إذ ينبغي حضور الوالدين في هذه المرحلة، واختيار المحيط الاجتماعي المناسب.

- إبعاد الطفل عن استماع الأغاني والأناشيد التي تحتوي فقط على الموسيقى المتتابعة غير المنقطعة، والأفضل جعله يتابع الرسوم المتحركة أو الأغاني التي توازن بين الكلام والغناء.

- العمل على تكرار الكلمات الأساسية في التعبير عن حاجات الطفل، حتى يتمكن من استعمالها وقضاء حاجاته بسهولة دون الوقوع في ورطات بسبب عدم فهم الكبير.

- كما يتم تخصيص محتوى فيديو وأفلام للكبار فقط دون الصغار، فينبغي أيضا تحديد هذا المحتوى بخصوص الكلمات التي لا يصح أن يسمعها الأطفال في مراحل عمرية معينة.

5. قائمة المراجع:

1. أحمد حساني. (2000). *دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات–*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية .

2. حنفي ابن عيسى. (د.ت). *محاضرات في علم النفس اللغوي ، ديوان المطبوعات الجامعية* (إصدار 3). ابن عكنون، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

3. زينب محمود شقير. (2002). *اضطرابات اللغة والتواصل، الطفل الفصامي – الأصم– الكفيف– التخلف العقلي– صعوبات التعلم–* (الإصدار 3). طنطا، مصر: منشورات جامعة طنطا.

4. علي عبد الواحد وافي. (د.ت). *نشأة اللغة عند الإنسان والطفل*. مصر: دار نهضة للطباعة والنشر.

5. فيصل محمد خير الزراد. (1990). *اللغة واضطرابات النطق والكلام. اللغة واضطرابات النطق والكلام*. الرياض: دار المريخ.

6. قاسم أحمد أنسي. (2005). *اللغة والتواصل لدى الطفل*. القاهرة: مركز الإسكندرية للكتاب.

7. محمد حولة. (2008). *الأرطفونيا، علم اضطرابات اللغة والكلام والصوت* (إصدار 2). الجزائر: دار هومة.

8. ميشال زكريا. (1983). *الألسنية علم اللغة الحديث، المبادئ والإعلام. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع* (الإصدار 2). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.